الطب والنظافة

والاحاديث النبويَّة والاحكام الشرعيَّة

اطَّلعت على ما كتبهُ الدكتور ابرهيم شدودي في اسباب امراض العيون في القطر المصري وما قصد اثباتهُ من ان الاسلام يوجب التداوي والنظافة فاردت ان اعزز قولهُ بجمع بعض الاحاديث النبوية والاحكام الشرعية التي توجب النظافة والمعالجة وهي :

في الجامع الصغير للسيوطي " ان الله تعالى حين خلق الداء خلق الدواء فتداووا". رواهُ الامام احمد . وقال في الحاشية للحفني اي بإخبار الطبيب العارف مع ملاحظة انهُ سبب وان الذي يشفي حقيقةً هو الله تعالى

وفيهِ " ان الله تعالى لم يضع داء الاَّ وضع لهُ شفاء فعليكم بالبان البقر فانها ترمُّ من كل الشجر " . رواهُ الامام احمد

وفيهِ " تداووا عباد الله فان الله لم يضع داء الاَّ وضع لهُ دواء غير داء واحد الهرَم " . رواهُ الامام احمد واصحاب السنن الاربعة وغيرهم . وقال في الشرح اي اطلبوا الدواء واسألوا الحكماء عما يناسب ما بكم . قولهُ تداووا الحديث فلا ينبغي اهمال التداوي للتوكُّل ولذا مرض سيدنا موسى عليهِ السلام فقالت لهُ بنو اسرائيل تداوَ بكذا فقال لا اتداوى بقولكم بل بالوحي . وانما انتظر الشفاء من الله تعالى فلم يحصل لهُ الشفاء فنزل الوحي عليهِ اتريد ان تبطل حكمتي التي وضعتها في العقاقير فمن خلق العقاقير غيري فانا الذي خلقتها واخلق الشفاء عند تعاطيها . ولا يرد على ذلك قول الصديق رضي الله تعالى عنهُ حين قالوا لهُ اتأتي لك بطبيب فقال انهُ نظر لي فقالوا ماذا قال. فقال قال لي انا الفعَّال لما أُريد . اي انهُ علم بنور قلبهِ انهُ قرُب اجلهُ فلم ينفعهُ الدواء. وكذا اهل الله تعالى منهم مَن يطلعهُ الله تعالى على عدم نفعهِ بالدواء فيتركهُ . اما من لم يبلغ هذا المقام فلا يترك هذا التداوي نظرًا للتوكل . انتهى عن الجامع الصغير

من شرح المشكاة لملاَّ علي قاري، عن سعد رضي الله عنهُ قال مرضت مرضًا اتاني النبي صلى الله عليهِ وسلَّم يعودني فوضع يدهُ بين ثديَّ حتى وجدت بردها وقال انك رجل مفؤود ائتِ الحارث بن كلَدة اخا ثقيف فانهُ رجل يتطبَّب (اي يعرف الطب مطلقًا او هذا النوع من المرض فيكون مخصوصًا بالمهارة والحذاقة . قال الشراح وفيهِ جواز مشاورة اهل الكفر في الطب لان الحارث مات في اول الاسلام ولم يصح اسلامهُ) فليأخذ سبع تمرات من عجوة المدينة فيجأهنَّ (اي يكسرهنَّ ويدقهنَّ) بنواهنَّ ثم ليلدَّك (من لدَّ الدواء اذا صبهُ في فمهِ

واللدد ما يُصَبّ من الادوية في احد شقي الفم) قال القاضي وانما امر الطبيب بذلك لانهُ يكون اعلم باتخاذ الدواء وكيفية استعمالهِ . قال التوربشتي وانما نعت لهُ العلاج بعد ما احالهُ على الطبيب لما رأى هذا النوع من العلاج ايسر وانفع او وثق على قول الطبيب اذا رآهُ موافقاً لما نعتهُ (رواهُ ابو داود)

وروى الامام مسلم في صحيحهِ بسندهِ عن عاصم بن قتادة قال جاءنا جابر ابن عبد الله رضي الله عنهما في اهلنا ورجل يشتكي خراجاً بهِ او جراحاً فقال ما تشتكي فقال خراج فيَّ قد شقَّ عليَّ فقال يا غلام ائتني بحجّام فقال لهُ ما تصنع بالحجام يا ابا عبد الله قال اريد ان اعلق بهِ محجماً . قال والله ان الذباب ليصيبني فيؤذيني ويشق عليَّ . فلما رأى تبرّمهُ من ذلك قال اني سمعت رسول الله صلى الله عليهِ وسلم يقول ان كان في شيءٍ من ادويتكم خير ففي شرطة محجم او شربة عسل او لذعة بنار . قال فجاء الحجام فشرطهُ فذهب عنهُ ما يجد

وفيهِ عن جابر رضي الله عنهُ عن رسول الله صلى الله عليهِ وسلم انهُ قال " لكل داء دواء فاذا أُصيب دواء الداء برأ باذن الله تعالى " قال الامام النووي رحمهُ الله تعالى في هذا الحديث اشارة الى استحباب الدواء وهو مذهب اصحابنا وجمهور السلف وعامَّة الخلَف . قال القاضي في هذه الاحاديث جملة من علوم الدين والدنيا وصحة علم الطب وجواز التطبب في الجملة واستحبابهُ بالامور المذكورة في هذه الاحاديث التي ذكرها مسلم وفيها ردٌّ على من انكر التداوي من غلاة الصوفية وقال كل شيء بقضاء وقدر فلا حاجة الى التداوي . وحجة العلماء هذه الاحاديث ويعتقدون ان الله تعالى هو الفاعل وان التداوي هو ايضاً من قدَر الله وهذا كالامر بالدعاء وكالامر بقتال الكفَّار وبالتحصُّن وبجانبة الالقاء باليد في التهلكة مع ان الاجل لا يتغيَّر والمقادير لا تتأخَّر ولا تتقدَّم عن اوقاتها ولا بدَّ من وقوع المقدرات

وفي شرح المشكاة روى البزار عن عروة قال قلت لعائشة رضي الله عنها اني اجدكِ عالمة بالطب فمن اين فقالت ان رسول الله صلى الله عليهِ وسلم كثرت اسقامهُ فكانت اطباء العرب والعجم ينعتون لهُ فتعلمت ذلك . انتهى

هذا من حيث الطب والتداوي اما حيث النظافة ففي الجامع الصغير للسيوطي " احسنوا لباسكم واصلحوا رحالكم حتى تكونوا كأنكم شامة في الناس " رواهُ الحاكم . " واغسلوا ثيابكم وخذوا من شعوركم واستاكوا وتزيَّنوا وتنظفوا فان بني اسرائيل لم يكونوا يفعلون ذلك فزنت نساؤهم " رواهُ ابن عساكر . " الاسلام نظيف فتنظفوا فانهُ لا يدخل الجنَّة الاَّ نظيف " رواهُ الطبراني في الاوسط . قال الحفني قولهُ فتنظفوا اي حسًّا او معنًى ولذا وجد سيدنا عمر

في فناء دار ابي سفيان قمامات فضربهُ بالدرَّة وامرهُ بتنظيفها فقال الناس لو كان ذلك في غير هذا الزمن لحصل ما حصل اي لان ابا سفيان كان من كبار قريش وسيدنا عُمر لا يراعي في الله كبيرًا ولا صغيرًا . " انكم قادمون على اخوانكم فاصلحوا رحالكم واصلحوا لباسكم حتى تكونوا كانكم شامة في الناس فان الله لا يحبُّ الفُحش ولا التفحُّش " . رواهُ الامام احمد والحاكم وغيرهما . " ان الله تعالى جميل يحبُّ الجمال " قال الحشي قولهُ يحب الجمال اي التجمل في الهيئة وهذا يطلب تأخير نحو الزيّات في آخر المسجد لئلاَّ يتضرَّر بهِ من يقربهُ فقول من يدَّعي التصوُّف المطلوب تنظيف القلوب بدل الثياب جهل بسنتهِ صلى الله عليهِ وسلم . " ان الله تعالى يحب الناسك النظيف رواهُ الخطيب " وفي كنز الحقائق للعلامة المناوي " النظافة تدعو الى الايمان " رواهُ الطبراني

هذا من حيث الطب والنظافة وقد رأيت في احياء العلوم لحجَّة الاسلام الشيخ محمد الغزالي وشرحهِ للسيد محمد مرتضى الحسيني ما يوجب تعلُّم الطب وهو قولهُ

في بيان العلم الذي هو فرض كفاية اما فرض الكفاية فهو كل علم لا يستغنى عنهُ في قوام امور الدنيا كالطب اذ هو ضروري في حاجة بقاء الابدان وكالحساب فانهُ ضروري في المعاملات وقسمة الوصايا والمواريث وغيرها (فان في كل منها مسائل يحتاج في معرفتها الى علم الحساب ولهذه الضرورة اعدَّ الملوك مواضع خاصَّة بالمرضى ورتَّبوا على ذلك اوقافًا واول من عمل ذلك في الاسلام الوليد بن عبد الملك ذكرهُ ابو بكر احمد بن علي الحلواني في لطائف المعارف وعينوا القسمة التركات والمواريث قضاة يتولون ذلك خاصَّة دون غيرهم) وهذه هي العلوم التي لو خلا عنهُ يقوم بها حرج اهل البلد واذا قام بها واحد كفى وسقط الفرض عن الآخرين فلا يتعجَّب من قولنا ان الطب والحساب من فروض الكفايات فان اصول الصناعات ايضًا من فروض الكفايات كالفلاحة والحياكة والسياسة بل الحجامة فلو خلا البلد من الحجَّام تسارع الهلاك اليهم وحرجوا بتعريض انفسهم للهلاك فان الذي انزل الداء انزل الدواء وارشد الى استعمالهِ واعدَّ الاسباب الى تعاطيهِ فلا يجوز التعرُّض للهلاك باهمالهِ واما ما يُعدُّ فضيلة فالتعمُّق في دقائق الحساب وخفايا الطب وغير ذلك ممَّا يستغنى عنهُ ولكنهُ يفيد زيادة قوة في القدر المحتاج اليهِ انتهى

هذا ما رأيت جمعهُ من الاحاديث النبويَّة والاحكام الشرعيَّة الدالة على وجوب التداوي والنظافة وعلى ان تعلم الطب فرض لا بدَّ منهُ لكل بلد احد القراء